الاشْتِغالُ النَّقْدِي بَيْنَ حدَّيْ المَنهجِ والنَّصّ عند الجُرجانِي والسَّكَّاكِي

Critical work between the curriculum and text limitations of Al-Urjani and Sakaki

طالب دكتوراه / مصطفى سالمي.

الأستاذ الدكتور: سليمان بن علي.

قسم اللغة العربية- جامعة عمار ثليجي - الأغواط (الجزائر).

مخبر اللسانيات التقابلية وخصائص اللغات. جامعة الأغواط.

salmimustapha17@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2020/10/12 تاريخ النشر: 2021/03/15

ملخص:

الحقّ أنّ الشاهد البلاغي كان - ولا يزال - ذا تأثير بالغ في مسيرة الدرس البلاغي والنقدي؛ وقد أدَّى هذا إلى ازدياد حركة النّشاط النّقدي، وبخاصّة فيما يتَّصل بنقد الخطاب الشّعري.

وإنّ ما يلفت النّظر أنّ الشّاهد البلاغيّ ظلَّ يتردَّد في كتب البلاغة القديمة من عصرٍ إلى عصر، متنقِّلاً من متن إلى تلخيص إلى شرح، ولعلّ السّبب في ذلك كون البلاغة في ذلك الوقت تنحو نحوًا تعليميًّا؛ (قاعدة ومثال لإيضاح القاعدة)، فكانوا يستخدمون البيت الشّعريّ أو الآية القرآنيّة مثالاً أو شاهدًا على القاعدة، وإنْ أدَّى ذلك إلى بَتْرِه عن سياقه، ومن ثَمَّ صار الشّاهد مقرّرا للحكم النّقديّ ودليلا عليه.

لذلك رأيت أن أتناول قضيّة الشّاهد البلاغيّ ودوره في تحديد المفاهيم النّقديّة عند العلماء الأوائل تناولاً يهدف في المقام الأول إلى النّظر في كيفيّة قراءة هذه النّصوص الشّواهد وطرق تعامل النّقاد معها قراءةً وتوظيفا وتحليلا، فربما تَقِفُنَا هذه القراءة على طريقة الاشتغال النّقدي عندهم.

الكلمات المفتاحية: الشّاهد؛ النّقد؛ المنهج؛ النّصّ؛ الجرجانيّ؛ السّكّاكيّ.

Abstract:

It is true that rhetorical quoting did have and still has a great influence in the development of the study of rhetoric and criticism. This has led to an increase in the activity of the movement of criticism, especially when dealing with poetic discourse analysis .

What is striking is that rhetorical quoting did exist in ancient books throughout a number of eras. During these periods of time, it witnessed a set of changes. The initial rough text turned into a summary, and the summary became a set explanations. These changes were due to the fact that the discipline of rhetoric was going towards a new educational path to simplify its teaching either through deduction or induction using poetic and Quranic verses. Quoting in this manner helped in getting judgments and evidences for matters of rhetoric and criticism.

Therefore, I decided to deal with this issue of rhetorical quoting and its role in determining concepts of criticism of the early scholars. This study work aims primarily to consider how to read these texts and the ways in which critics deal with them, and how critics implement, read, and analyse them.

This work may eneble us to understand how early scientists worked with issues of rhetoric and criticism.

key words: Quoting; Criticism; Process; Text; Jerjani; Alskaki

إنّ ميدان البلاغة الحقيقيّ والمقصود من دراستها هو تحليل النّصوص والتّعرّف على دقائق المباني والوقوف عليها، واستنطاقها واستخراج جواهرها وأسرارها.

وإنّ الفنون البلاغيّة تحيا ما دامت تتقلّب بين أكناف النّصّ وتضرب إلى دقيق خصائصه، وإذا عزلت البلاغة عن النّصّ ذهبت قيمتها وصارت علما جامدا مهملا لأنّ المقصود من العلم أن يُستعمل والتّحليل هو ميدان استعمال البلاغة. ثم إنّ علماءنا ذكروا أنّ لكلّ شاعر طريقا في النّظم، ومذهبا في تصريف فنون البيان، وهذا الطّريق وهذا المذهب لا يستخرجه إلاّ علماء هذا العلم.

فمَعرفة فضل الكلام ودرجته وطبقته معرفة تسبق الدّرس البلاغيّ وهي راجعة إلى ثقافة الدّارس وطبعه وخبرته بالأدب، ثم يأتي الدّرس البلاغيّ ليبيّن سبب الفضل وعلّة الحسن، وهذا ظاهر في أنّ البلاغة ليست أداة لمعرفة الجيّد وإنّما هي أداة لمعرفة علّة الجودة، أَيْ بحثٌ في الجيّد لبيان الشّيء الّذي كان به جيّدا.

وقد كانت قيمة العالِم تتجلّى في معرفته الشّواهد وسرعة استحضارها والإتيان بها وإثباتها في موضعها وبذلك يرتفع قدره وتعلوا منزلته، فدراسة الشّاهد في النّقد العربيّ قديما من أهم الدّراسات لما للشّاهد من أثر واضح في تأطير الجهود النّقديّة لعلمائنا الأفذاذ وتوجيه بحوثهم لأنّ قيمة الرّأي الّذي يبديه النّاقد تنبع من استعماله الشّاهد بوصفه أداة لإقناع المتلقّي، و القضيّة الأساسيّة الّتي يدور الحديث حولها هي:

- **معرفة دور الشّاهد البلاغيّ في تحديد المفاهيم النّقديّة عند الجرجانيّ والسّكّاكيّ.**
- **و هل استطاع الشّيخان التّقيّد بحدود المنهج أم أنّ النّصّ لا يقبل الحدود؟.**

وإنّ هذه المعرفة ستمنحنا فهمًا آخر وتذوّقا آخر للمادّة البلاغيّة، وتحدّد لنا ملامح المؤلّف الّذي اختار أو المبدع الّذي قال بشكل أكثر تحديدا.

إنّ كلّ شاهد يوشك أن يكون له قصّة وسيرة استعمال والبحث في ذلك ومعرفته عمل له مذاقه وللنّفس به غبطة لما يظهره لها من أسرار نَقلَها من خلال استعماله وتنقّله من ناقد لآخر.

ولذلك فإنّ دراسة الشّاهد البلاغيّ ومعرفة أطوار استعماله بين النّقاد أمر ضروري في ترسيخ الأصول والقواعد، وهذه الدّراسة تجعل الدّارس يقف على كلّ جوانب القضيّة وملابساتها، ممَّا يساعد على فهمها وثباتها في الأذهان، ولهذا فقد جاء هذا البحث ليُلقي الضّوء على بعض الجوانب المتعلّقة بالشّاهد البلاغيّ في النّقد العربيّ، وعلى الخصوص الجوانب المتعلّقة بمفهومه ومصادره وشروطه ووظائفه الّتي كان يُستحضر من أجلها.

الشّاهد لغة: قال ابن منظور: "والشّاهد اللّسان من قولهم لفلان شاهد حسن أيْ عبارة جميلة، قال ابن الأعرابيّ: أنشدني أعرابيٌّ في صفة فرسٍ: *** **لَهُ غَائب لم يبتذلهُ وشَاهد**

قال الشّاهد منْ جَريِه ما يشهد له على سبقه وجودته، وقال غيره شَاهِدُه بَذْلُهُ جَرْيَهُ"[1].

ويقول ابن فارس: "شهد، الشّين والهاء والدّال أصل يدلّ على حضور، وعلم، وإعلام"[2].

وجاء في المعجم الوسيط :"والشّاهد من يؤدّي الشّهادة والدّليل"[3].

الشّاهد اصطلاحا: الاستشهاد في اللّغة هو إتيان المتكلّم أو الكاتب بشاهد "دليل" يُعَزّزُ رأْيَه ويُدَعِّمَه"[4].

يقول الشّريف الجرجانيّ في التّعريفات: "..الشّاهد عند أهل العربيّة الجزئيّ الّذي يستشهد به في إثبات القاعدة لِكَوْن ذلك الجزئيّ من التّنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيّتِهم، وهو أخصُّ من المثال"[5]. وقال المسعوديّ: "رُوِيَ أنّ الحجَّاج سأل سمرة بن الجعد الشّيبانيّ إذ كان يروي الشّعر فقال: إنّي لأَرْوِي المَثَل والشّاهد فقال الحجَّاج: المثل قد عرفناه فما الشّاهد؟ قال: اليومُ تكون العَرَبُ من أيَّامها عليه شاهد من الشّعر فإنّي أروي ذلك الشّاهد "[6].

<u>فالشّاهد قولٌ عربيّ لقائل موثوق بعربِيَتِه يُورَد للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأيٍ أو قاعدة. فالشّاهد هو الدّليل على استعمال لغويٍّ معيّن في الدّرس اللّغويّ ليستعين به اللّغويّ على تحليل ظاهرة لغويّة من حيث سلامتها وزمن استعمالها، والشّاهد يشمل كل نصٍّ له مرجعيّة ثابتة مقيّدة بقائل أو غير مقيّدة.</u>

الشّاهد البلاغيّ : وهو كلّ ما يَستشهد به البلاغيّون من آيِ القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة وكلام العرب نثرا أو شعرا، لتوضيح وبيان قاعدة بلاغيّة[7]. وقد استخدم البلاغيّون الشّاهد لإعطاء الأدلّة على الموضوعات والأساليب الّتي كانوا يجمعونها تحت مسمّى علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع.

و الشّاهد البلاغيّ لا تحدّه حدود لا في نوعه "نثري أو شعري أو قرآني أو من حديث رسول الله صلوات الله عليه" ولا في زمن الاحتجاج به، ولا في طريقة تحليله لأنَّ الهدف من هذا الفنِ هو تربية الذّوق، يقول سليم الحربي:"إنّ لشواهد البلاغة أهميّة كبيرة في تذوّق أسرارها واستكشاف دُرَرِها، وتفيُّءِ ظلال البيان في أعلى مراتبها"[8]، لهذا فإنّ منهج وغرض أهل البلاغة من الموضوع غير منهج وغرض أهل النّحو فالبحث عندهم يدور بَيْنَ الأسلوب ونظم المفردات فلا يهُمُّهم زمان ولا مكان ولا درجة القائل بقدر القول.

والشّاهد البلاغيّ يمتاز عن غيره بميزات ترجع إلى وظيفته والمجال الّذي يتحرَّك فيه، أمَّا وظيفته فهي الكشف عن الجوانب الفنيّة والأبعاد الدّلاليَّة لتركيب الجمل، ومن هنا يجب أن تكون النّظرة إلى الشّاهد غير موحَّدة بل متجدّدة مع كلِّ دراسة.

كما أنَّ مجال الشّاهد البلاغيّ أرحب والاختيار فيه أوسع أفقا، فهو يشمل كلام خُلَّص العرب والمولّدين بينما ينحصر الشّاهد النّحويّ واللّغويّ على فترة و رُقعة محدّدتين[9]. قال ابن رشيق مؤكّدا هذه النّظرة: "فالمولَّدون يُستشهَدُ بهم في المعاني كما يُستشهَد بالقدماء في الألفاظ "[10] وهذا الاتساع في مجال الاستدلال أتاح للشّاهد البلاغيّ التّمايز.

أهمية الشاهد والاستشهاد: الّذي ينظر في عقليّة العربيِّ وتاريخه مع البيان يفهم جيّدا الأساس الّذي قام في عقليّته حول التّواصل فهو نفعيٌّ بالدّرجة الأولى فكل إنسان يفهم الآخر بل ويُقيم عليه الحجّة انطلاقا من مرجعيّة مشتركة بينهما تتمثّل في تصوّر مشترك في العالم الخارجي، ومن ذلك نفهم الشّارع الحكيم حين أقرَّ الحجّة على الّذين كفروا برسلهم وذلك حين خاطبهم بما يفهمون. وبذلك نفهم أيضا الشّاهد في استعانة العرب بالشّعر لأنَّه كان يمثِّل المحاورة، بينما جاءت الشَّريعة بالحجّة القاطعة وتحقيق ما يناسب هذا الكلام قبل نزول القرآن الكريم.

وتَكْمُن أهميّة الاستشهاد في تحقيق الإقناع وإزالة الشّك، فعندما يشعر القائل بوجود شكٍّ ما فيما يقولُ أو يكتبُ في ذهن المتلقّي يدفعه ذلك إلى الاستشهاد لإزالة ذلك الشّك ورفع نسبة التّصديق. والعلماء يميلون إلى قبول القاعدة الرّاسخة الّتي تعتمد على وفرة الشّاهد

وصحَّة روايتها[11]. وللشّاهد في العلوم قاطبة مكانة رفيعة، به تثبت الأحكام وعليه يترتّب القبول والرّد.

فوائد الاستشهاد: الشّاهد هو العصب للعلوم العربيّة في مرحلة التّنظير، وهو المادّة في مرحلة التّقنين، والشّاهد ثروة وتراث حضاريٌّ للأمّة لا يمكن تجاهله فضلا عن التّفريط فيه لأنّه مرتبط بثقافة الأمّة. وقد نال الشّاهد مكانة متميّزة في الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة بسبب ما يؤدّيه من وظائف استثمرها العلماء والنّقاد في إثبات أفكارهم وتقويّة حُججِهم في القضايا النّقدية المختلفة الّتي يتعرّضون لها في مصنفاتهم فكان الشّاهد بأنواعه يستحضر لإثبات ذلك كلّه. كما أنّ للشّواهد المختارة والمحكمة فوائد نجملها في:

- ✓ تقديم الحجيّة من المتكلّم في الشّاهد الّذي يدعّم به رأيه، فيكون التّأثير في المتلقّي أكثر من عدم وجود شاهد هذا التّأثير يسوقه نوع الشّاهد فالشّاهد القرآني ذو منزلة عند المتلقّين لِقُدُسِيَّته، والشّاهد الشّعري إذا كان صاحبه ذو مكانة في الشّعر أضفى على شعره هالة من التّعظيم، وبهذا التّأثير ينجح المتكلّم في استمالة القارئ لفكرته.
- ✓ الشّاهد المختار يحمل في مضمونه معاني راقية، ويظهر في شكله بناءً متميّزا فهو يجمع بين جمال اللّفظ وحسن العبارة، أو كما يقال: "وَشْيُ الكلام وَجَوْهَرِ اللّفظ وَحُليّ المعاني"[12].
- ✓ برهان على الأمانة ودليل على تواضع الكاتب، وفي الاعتماد على السّابقين تأكيد على فهم ومراجعة الأقوال فهمًا يُتيح التّصرف في كلامهم باستعماله أدلّة وبراهين.

وتأسيسا على ذلك فإنّ البلاغيّين قد حدّدوا للبلاغة موضوعها ورسموا لها إطارها كما حدّدوا لها المادّة الّتي يَستند إليها الدّرس البلاغيّ وفي مقدّمتها الشّاهد الّذي يفرض علينا في هذا المقام معرفة شروط اختياره وطبيعته... واختيار الشّاهد الشّعريّ على الخصوص لما يربط الشّعر بالثّقافة العربيّة ولما يختزله من موروث ثقافيّ وحضاريّ في حياة العربي.

وظائف الشّاهد في النّقد العربي:

بيان أحوال اللّفظ والمعنى:اختلف نقّاد اللّغة قديما وحديثا حول مسألة اللّفظ والمعنى واتّجهوا فيها اتجاهات أربعة متباينة.

- ✓ تغليب اللّفظ على المعنى.

- ✓ تغليب المعنى على اللّفظ.
- ✓ التَّسوية بين اللّفظ والمعنى في الأهميّة.
- ✓ النّظر إليهما من خلال السّياق والتّركيب.

وهُمْ في ذلك كلّه يعتمدون على الشّاهد في أحقيَّة ما يقول كلّ قوم، وقد شكّلت هذه الآراء بدايات القضيّة النّقديّة في الدّرس اللّغوي. وقد أكّد الجرجانيّ على ترابط اللّفظ والمعنى واستدّل على ذلك بنظريّته في النّظم .

بيان السّرقات الشّعريّة: وكانت فكرة الأخذ في الشّعر معروفة مذ العصر الجاهلي فهذا طَرَفَة يقول:

وَلا أُغـيرُ عَلى الأَشعـارِ أَسرِقُـها	**عَنهـا غَنيتُ وَشَرُّ الناسِ مَن سَرَقـا**[13]

ويقول حسان:

لا أسْـرِقُ الشُّعَـرَاءَ مـا نَـطَـقُـوا	**بَلْ لا يُـوَافِـقُ شِـعْرَهُـمْ شِـعْري**[14]

وقد عمد النّقاد لوضع آليّات لحماية الشّعر من التّبديل والاختلاس،وكشف من ادّعى شعر غيره ونسبه إليه.

الشّاهد ميدانا للتّطبيق: وذلك من خلال:

أغاليط الشّعراء: لقد تتبّع النّقاد أخطاء الشّعراء مُستعينين بأشعار غيرهم، مُستخرجين بذلك قواعد وأصولا لمعرفة الأسلوب الواضح فيُصوِّبون الخطأ بذكر الشّاهد عليه.

الموازنات: وهي ضرب من النّقد يميِّز بها الجيّد من الرّديء في القول، وصارت معيارا لإثبات الرّداءة والحسن.وقد عقد الجرجانيّ في آخر كتابه "الدّلائل" موازنات بين الأشعار والشّعراء.

المبالغة: واستعمل بعض النّقاد مصطلح الإفراط في الصّنعة بمقابله وكذلك الإغراق وتجاوز الحدّ.ولكلٍّ نظرته للمبالغة فمن يرتضيها يسمّيها المبالغة ومن لا يرتضيها يسمّيها تجاوز الحدّ.ومع ذلك يستشهد العلماء لذلك بشواهد شعريّة أو قرآنيّة أو نثريّة، وقد كانت في بداية الأمر وسيلة تأكيد حتّى وصلت إلى حدّ يعجز العقل عن تصديقه.

أهميّة الشّـاهد في الدّرس اللّغوي: إنّ دراسة الشّاهد أمر ضروريٌّ في ترسيخ الأصول والقواعد، وهذه الدّراسة تجعل الدّارس يقف على كلّ جوانب القضيَّة وملابساتها ممّا يساعد على فهمها وثباتها في الأذهان. إذن: تكمن أهميّة الشّاهد في أمرين: **تحقيــق الإقنــاع و إزالــة الشَّــك**

فعندما يشعر الدّارس بوجود شكٍّ فيما يقول أو ما يكتب في ذهن المتلقّي يدفعه ذلك إلى طلب شاهد يختاره اختيارا لدفع الشّك عند المتلقّي ورفع نسبة التَّصديق عنده لكن تقديم الشّاهد ليس ضرورة منهجيّة دائما وفي كلِّ مقال، فمن القواعد والأصول هي مسلّمات إدراكها مطَّرِد عند النّاس وليست بغريبة ولا تحتاج إلى قول أو شاهد يدافع عن أصليّتها وأحقيّتها لبديهيّتها واتّفاق النّاس عليها.لكنّ الحكم النّحويّ من مرحلة النّضوج لم يعد مسلَّما به وبذلك لا سبيل لإظهار حجّة أي اتجاه نحويٍّ إلاّ من خلال الإكثار من البراهين والعلَلِ المؤيّدة لهذا الاتّجاه[15]، ولا سبيل لذلك إلاّ من خلال الشّاهد والاستشهاد.

لذلك برزت أهميّة الاستشهاد في النّحو في مجالين "التّوظيف والبحث ففي مجال التّوظيف كان النّحاة مُهْتمّين به حتّى قيل: "إنّ الشّاهد في علم النّحو هو النّحو"[16]. وإنّ أسلوب معاملة الشّاهد واستخلاصه من لغة العرب هو منهج نحويّ[17].

وسمة أخرى تؤكّد اهتمام النّحاة بالشّاهد في مجال التّوظيف هي مراعاة منزلة الشّاهد عند الاستشهاد فيقدّمون الشّاهد القرآني على غيره في مسائل كثيرة لأنّ القرآن يُعدّ أبلغ كلام وأوثق نصٍّ عرفته العربيّة ويُخاطِب العرب بلغتهم[18].وهم عندما يقدّمون الشّاهد لا يكتفون بذلك بل يلجأون إلى شرحه وتوضيح ما غمض منه وفيه تحقيقا لمهمته.

أمّا في المجال الثّاني وهو مجال البحث فقد أبرز الباحث محمّد عيد أهميّة الشّاهد والجهود المبذولة في مجاله من أهمّ المصنّفات في مضمار شرح الشّاهد[19]. إذ تفطَّن العلماء قديما إلى أهميّة دراسة الشّاهد وبخاصة علماء النّحو الّذين عكفوا على أهم الكتب النّحويّة يشرحونها تارة ويدرسون شواهدها تارة أخرى، ومن بين أهم الكتب الّتي عكفوا عليها: الكتاب لسيبويه الّذي بلغت شروح شواهده ما يقرب عن أربعة عشر شرحا، ويمتلك الشّاهد حضورا متميّزا في عمليات الجدل والاحتجاج الّتي تأجّجت عند المتكلّمين الّذين اشتغلوا بالدّفاع عن العربيّة ضدّ الشّعوبيّة فنجد الجاحظ يقول: "متى أَخَذْتَ بِيَدِ الشّعُوبيِّ فأدخلته بلاد الأعراب

الخلّص ومعدن الفصاحة التَّامَّة وَوَقفته على شاعر مفلقٍ أو خطيب مُصقِعٍ عَلِمَ أنّ الّذي قُلْتَه هو الحقّ وأبصر الشّاهد عينا[20].

كان الشّاهد بصفته الاستدلاليّة الاحتجاجيّة محور حديثهم ودفاعهم وعليه اعتمادهم، وإلى هذا أشار ابن رشيق القيرواني: "وكلّما أكثرت من الشّاهد فإنّما أريد بذلك تأسيس المتعلِّم وتَجْسِيرَه على الأشياء الرّائقة"[21].

في هذا السّياق العام نشأ الشّاهد البلاغيّ قرينا للشّاهد النّحويّ، رغم اختلاف الغرض الّذي يحدِّدُه موضوع البحث. فالشّاهد النّحويّ وظيفته تتمثّل أساسا في الحجيّة والاستدلال، والشّاهد البلاغيّ وظيفته تقديم الأمثلة على المواضيع البلاغيّة المدروسة.

و"ما دام أنّ البلاغة هي: الكيفيّات الّتي تعارف عليها فصحاء العرب فكان كلامهم أوقع من كلام عامّتهم وأنفذ في نفوس السّامعين وعلى ما شابه تلك الكيفيّات ممّا ابتكره المزاولون لكلامهم وأدبهم وعلى ما يحسن ذلك ممّا وقع في كلام العرب وابتكره المُولَعون بلسانهم يُعَدُّ بلوغا من المتكلّم إلى منتهى الإفصاح عن مراده"[22].

هذا كلام الشّيخ الطّاهر بن عاشور شيخ البلاغة في عصره يدلّ صراحة على أنّ البلاغة علم يهتمّ بالكيفيّة الجماليّة المؤدّية إلى منهج الإفصاح عن المراد وليس ضبط قواعد الكلام والمفردات وفقا لما جاء عن العرب وعدم الخروج عليه، فهذا هو المراد من البلاغة وبهذا يكون الشّاهد الشّعري أو النّثري المقدّم والمحتجّ به في الدّرس البلاغي متّصفا بهذه الأوصاف وإنْ بَعُد زمنه واتّسعت رقعته الجغرافيّة، وسواء كان من أفواه أهل الإبداع من الأوائل أو مبدعا من مبدعِي عصرنا وزماننا فالشّاهدُ البلاغيّ هو كلّ كلام خرج مخرج الإبداع في أسلوب رائق وذوق رائع يُظهر أحدَ فنون البلاغة أو أفانينها في قالب جديد، والعلّة في ذلك أنّ البلاغة لا تبحث في الألفاظ والقواعد وإنّما تبحث في المعاني الّتي يرجع أمرها إلى العقل.

أمّا من ناحية المجال فإنّ الشّاهد يتحرّك في مجال أوسع في مجال البلاغة منه في غيرها من المجالات الأخرى لأنّه كسر حاجز التّقيّيد الزّماني والمكاني وفتح باب الإبداع والذّوق المرهف والتّراكيب والأساليب وهي في كلّ زمان وكلّ مكان لا تنعدم ما دام هناك كلام يقال وخطابات تُرصَف.

ومن هنا لم تكن النّظرة موحدّة إلى هذه الشّواهد خلافا لما عليه الأمر لشواهد النّحو واللّغة والتّفسير، بل كان الشّاهد البلاغيّ يتّسمُ بالتَّنوّع والتّمايز في بعض الأحيان خاصّة أنّ المُحدَثِين عُرفوا في هذا الجانب بلطائف تدقيقهم وطريف معانيهم وإصابة تشبيههم وصحّة استعاراتهم[23].

بالإضافة إلى المنهج وارتباطه بطبيعة الموضوع فلا يجب أنْ نَتَنَاسى أنّ العرب أمّة جُبلت على ذكاء القرائح وفطنة الإفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم وبخاصة كلام بلغائهم ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلّمين على إفهام السّامعين كما يقال: لمحة دالّة[24]. ويجب أن نؤكّد على أنّ المقامات والأزمنة والبلاد قد تختلف فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشّعراء الحذّاق تُقابل كل زمان بما اسْتُجيدَ فيه وكَثر استعماله عند أهله[25]. فعبّر الشّاهد البلاغيّ عن جانب وظيفيّ في التّعبير عن شؤون النّاس الاجتماعيّة والنّفسيّة والحضاريّة، فجميع الشّاهد تؤول إلى الإمتاع المفيد الباقي للفرد والمجتمع وتقديم الخدمة الهادفة، حيث جاءت مضامينها معبّرة عن حياة النّاس وهمومهم وتطلّعاتهم[26].

وقد استُخدم الشّاهد البلاغيُّ بعلامات ناتجة عن اهتمامات الأفراد والجماعات وحاجيّاتهم ونِزاعاتهم وكان هذا العُنصر من العناصر الّتي حدّدت وجهة الشّاهد ونوعه وتركيبه، ومدى تأثير وتوظيف مضمونه مع الغاية المقصودة لأداء رسالته بين النّاس والمتلقّين عموما.إذا قلنا الشّاهد البلاغي فهذا من جهة استعماله وموضوعه وليس من جهة نوعه فقد يكون الشّاهد البلاغي قرآنا أو حديثا نبويًّا أو شعرا أو نثرا.

ويعدُّ الشّاهد الشّعريّ الأكثر شيوعًا واستعمالا عند البلاغيّين، بل إنّ البلاغة استمدّت مادّتها الرّئيسيّة من القرآن الكريم أوّلا ثم من الشّعر العربي، فاتّجهت إلى دراسة الشّعراء وصورهم البيانيّة والبديعيّة المبتَكَرة، فعمل البلاغيّون في هذه الفترة على رصد ما سبقهم من شواهد صالحة من نماذج الشّعرِ الجاهليِّ والإسلاميِّ كما تناولوا من كان قريبا منهم و مُعايشا لهم.

إنّ السّبب في لجوء البلاغيّين إلى الشّاهد الشّعريّ هو قدرة الشّعر على استيعاب مادّة البلاغة لأنّه المادّة الصّالحة للتّطبيق على ألوان البلاغة، ولأنّ الباعث على القول في البلاغة هو الوُجدان والخيال وذلك أكثر ما يكون جَوَلَانًا في ميادين الشّعر[27].

واختيار الشّاهد الشّعري فاقَ الشّاهد النّثريّ بدرجات كبيرة فقد اتَّجهوا إلى أنّ علوم البلاغة العربيّة لا تظهر بصورتها الواضحة إلاّ من خلال الشّعر والصّور الشّعريّة الأكثر دلالة ووضوحا في الاستدلال على المظاهر البلاغيّة الّتي يعرضونها. ولقد حدَّد الباحث فضل حسن عبّاس أهمّ ركنيين للبلاغة.

1. أن يكون الكلام متلائما مع أوضاع المخاطبين.
2. أن يكون مؤثّرا في النّفس حتّى تتفاعل وتتجاوب معه[28]

ممّا يعني أنّ أسباب اختيار الشّاهد الرّئيسة: فصاحة الألفاظ، وبلاغتها الّتي لا ترجع إلى الألفاظ نفسها وإنّما إلى صورتها ومَعْرَضها الّتي تتجلّى فيه، وبعبارة أخرى ترجع إلى نَظمِها وما يُطوى فيها من خصائص[29].

أمّا ما يعرف بالشّاهد المجزّأ أو المقطوع فقد جاء كوسيلة على الظاهرة البلاغيّة الّتي تَتَبَّعها البلاغيّون في ممارساتهم العلميَّة لمفاهيم البلاغة ومظاهرها من خلال اجْتِزَاء الشّاهد : وبالرّغم من كثرة ما ترجم عن الأسلوبيّات والبنيويّات لم نصادف منها ما يتعامل مع النّصوص كاملة تحليلا وتفسيرا وإنّما كان الاجتزاء سمة تميّز الدّراسات البلاغيّة قديمها وحديثها فهي ضرورة يحتِّمها المنهج[30].

الشّاهد بين الذّوق والثّقافة العامّة والمنهج

لقد بسط القدماء القول في وسائل دراسة القصيدة في إطارها العلمي، فأحكموا دراسة العلاقات بين الكلمات والجمل والأغراض وذكروا ضروبا من العلاقات بين مقاطع الكَلِم، منها اللّفظي والمعنوي وتمَّ تحديد وتعيّين هذه الوسائل على أنْ تَبِين وتَتَبَيَّن علاقات أوائل الكلام بأواخره وتُحلّل طريقة ترتيبه ووجوه تتابعه.

وفي ظلِّ هذا الفقه لطرائق تلاحم الكلم جاهد العلماء في فهم الأسلوب القرآني، والبحث عن سرّ الإعجاز وفهمه وتأكيده للمشكِّكين والمغالطين، ولهذا ظهرت كتب البحث والدّرس اللّغوي عموما والدّرس البلاغيِّ خصوصا مليئة بالشّاهد الشّعريّ وكلام العرب كأدلَّة على قواعدهم وتِبْيانًا لما يسعون لتأكيده، فكان الشّاهد في الدّرس اللّغوي أهم وسيلة، فهو الغاية وهو الوسيلة لأنّه أهمّ أداة وأقوى عنصر يُضفي على القاعدة التّأكيد والحجيّة والأحقيّة بالقول والإتّباع.

ولم تكن دراسة الشّعر تمارس بطريقة اعتباطيَّة من دون تعليل وتبرير من تاريخ الثّقافة العربيّة إنّما أصبح الشّاهد الشّعريُّ يُبرّر ويعلَّل وفق وجهة نظر مدروسة، بحيث صارت المعرفة بأصول الخطاب الشّعريّ تتحكّم في هذا التّحليل ولم يقدر العلماء على سحب مزيّة الذّوق في باب الاختيار أو التّبرير أو التّحليل، بل كان ملازما للعقل العربي في العمليّة النّقدية، حتّى في أصعب ظروف تاريخ النّقد العربي سواء المرحلة التّمهيديّة أو ما يعرف بالنّقد الاعتباطي في الدّرس العربي، وهو وصف أقلَّ ما يوصف به أنّه ابتعدَ عن الصَّواب أو في مرحلة إعمال العقل والفكر المنطقي وقد قيل أنّ الدّرس البلاغيّ في مرحلة من مراحل ضعفه فقد النّظرة الذّوقيّة في الدّرس وتعامل مع المنطق وهذا ليس له مبرِّر في تاريخ الدّرس اللّغوي العربي.

إنّ النّقد المنهجيَّ المؤسّس على تحليل مُفَصَّل يتطلَّب ذوقا ونظرةَ عقلٍ، وقد عُرف الذّوق عند العرب واختلفت أو تفاوتت النّظرات العقليّة باختلاف مراحل تطوُّر الدّرس اللّغوي من عصر إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى ومن ناقد إلى آخر. وعلى هذا الأساس اشترط النّقاد شروطا ووضعوا قيودا واجبة المعرفة في استعمال الشّاهد في الدّرس اللّغويّ أو في تحليلها وفهم معانيها، وكما كان الشّاهد هو الأساس في الدّرس اللّغويّ أو البلاغيَّ على الخصوص فلا بدّ من معرفة طرق قراءة واستعمال وتحليل الشّاهد البلاغيّ، لمعرفة إلى أيّ مدى توقّف عندها أهل البلاغة خاصَّة الجرجانيّ والسَّكّاكيّ وكلّ واحد كما هو معروف يتّسم بسمة عصره وثقافة زمانه ولكلّ منهج يختلف عن الآخر لاختلاف الغايات.

شروط العمل بالشّاهد : لقد ذَكر الباقلاّنيُّ في كتابه إعجاز القرآن شروطا وقيودا واجبةَ المعرفة

لتحليل شعر الشّعراء وفهم معانيه، وهذه الشّروط مهمّة في اختيار الشّاهد البلاغيِّ وحسن توظيفه لأنّ فهم القول وإدراك المراد منه هو سبيل لحسن توظيفه واستعماله، أَذكُر هذه الشُّروط باختصار وهي:

1. **استكشاف القدرة الكامنة في الأحوال اللّغويّة**[31]: وهو جهد عظيم عبّر عنه الجرجانيّ بقوله "وتضع اليد على الخصائص الّتي تعرض من نظم الكلام وتعدّها واحدة واحدة، وتسميها شيئا فشيئا" كي تقف عند كلّ كلمة اسما أو فعلا أو حرفا، وتسأل عن سرِّ الإتيان بها والدّلالة الكامنة من توظيفها والأحوال الّتي تُحيل عليها، ولا يدقّ هذا الباب ولا يَلِجُه إلاّ من له بصيرة في فهم الكلام وحسن تدقيق، يستنطق هذه الأحوال ويفطن

لحلِّ رموزها حتّى يخرج من صدفات الكلام لآلئ كَنَزَهَا القائل داخل كلماته فنَفَثَهَا غُلْقًا ولكنَّ البصير فَهِمَها فَفَتَحَهَا وشرَحَها، وهذا الباب إمّا أنْ تكون متحَكِّما فيه متمكّنا منه وإلاّ فأنت في حُكم الخارج عن أهله. ولن تتمكّن من هذا الباب إلاّ بنقطة مهمّة وهي:

2. **معرفة طرائق الشّعراء ومذاهبهم**[32]: فلا يكون النّاقد ناقدا حتّى يعلم طرائق الشّعراء ومذاهبهم في القول فيحدّد الأصول العامّة الّتي يشترك فيها أهل البيان والسّمات الخاصّة الّتي يتفرّد بها كلّ شاعر عن غيره ، لأنّ الشّعراء أبناء عصرهم وزمانهم وإنْ كان شاعر تفرّد في زمنه فلا بدّ من إدراك ذلك أيضا، وأكثر من ذلك زاد الباقلاّني ضرورة أنْ يكون النّاقد عالما بأنساب الشّعر والأدب فيعرف أنّ هذا الشّاعر قد حَذَا حَذْوَ فُلان من الشّعراء وجعله قدوة أو مدرسة له، وهذا لا يكون حتّى يتمكّن من العنصر الآتي وهو:

3. **معرفة تطوّر المذهب الشّعريّ للشّاعر**[33]: وهي معرفة بتفاصيل شعر الشّاعر كاهتمامه مثلا بمفردات الشّاعر ومعانيه وأنّ هذا الشّاعر أخذ الألفاظ وألمَّ بها وطار بها في سماء الشّعر، وأنّ ذاك الشّاعر الآخر فَعَلَ ذلك بالمعاني ...فلا بدّ من تحديد عناصر احتذاء كلّ شاعر في دراسة مذهبه الشّعريّ. وأضاف إلى هذه العناصر الثّلاثة ذكر النَّمط.

4. **نَمَطُ بناء الشّعر**[34]: و ذكر أنّ الشّاعر أو الكاتب قد يتجاوز الألفاظ والمعاني فلا يأخذ منهما شيئا ولكنّه يأخذ طريقة بناء الكلام والأسلوب والقالب والمنهاج وقد سمّاه: النّمط.

5. **معرفة الطّبع**[35]: بالإضافة إلى ما سبق فلا بدّ أن يعرف الطّبع الّذي يخترع البيان مع حدّة الخاطر، بمعنى يعرف نفس الأديب ومعدن موهبته.ومن يجمع هذه المعارف إلّا من نَفَذَ البصيرة واسْتَحْكَم في فنّ القول وقد قال الباقلاّني:"قد ذهب من يعرف نَقْدَ الشّعر"[36]، هذا القول في زمن خلف الأحمر وأبي عبيدة وقد بقيَ قليل منه في زمنه فليت شعري ما يقول اليوم عن زماننا؟!

لعلّ هذه الشّروط في معرفة الشّعر وفهمه تنعكس مباشرة على معرفة الشّاهد وشروطه ولكنْ شروط معرفته لا شروط العمل به وقد يكون من شروط العمل به أو استعماله ما يحدّد في العنصرين الآتيين:

- ✓ الدّقة في الاستعمال: "أو اختيار الشّاهد المناسب في الوقت المناسب".
- ✓ عدم تكديس الشّاهد في النّص الواحد: فلكلّ مقام مقال.

ولهذا فالدِّقَّة في استعمال الشّاهد موهبة، والقدرة على استيعاب المسائل ومخارجها وإيراد البيت من الشّعر والتَّمَثُّل بالمثل السَّائر في موضعه من أحسن أنواع الكتابة وأعظم فنونها[37].

فقد وعى النّقاد والدّارسون مهمَّة الشّاهد في إيضاح المبهَم، وتأكيد على ما يَرُومُونَه ويَسْعَون لإثباته فكانوا يُضمِّنون الشّاهد في مؤلَّفاتهم بصورة محكمة وطريقة ذكيّة يسْتَمْتع بها القارئ ويَنجَذِب بقوّة البرهان وحجّيَّة الدّليل ولم يكن لهم هذا إلّا بطول المدارسة للشّواهد وحفظها وفهمها وتحليلها على مراد ما جاءت به لا تعسّفا وتقليدا. فكانت مقالاتهم محكمَةَ الأواصر لا يختلف أوّلها عن آخرها بناءً واحدا يَحكُمُه قِطَع من الشّاهد كأنّها الأساس الّذي بُنِيَ عليه، ولهذا اشتُرط في هذا الأساس الصّحة في القول لا التّركيب المتَكَلَّف، والدّقة في الإيراد لا التّكديس المملّ واقتباسٌ دون تحوير يخلُّ بالمعنى أو بَتْر يشوّه المبنى.

العرض الأدبيّ للشّاهد : الشّاهد في الدّرس البلاغيّ والنّقديّ على الخصوص له تأثير بالغ الأهميّة في الجانب الجماليّ أو الحُكميّ ولا يزال إلى يومنا مَثَارَ نِقَاشٍ بين البلاغيّين والنّقاد خاصّة في نقد الخطاب الشّعريّ. وما يلفت النّظر أنّ حركة الشّاهد البلاغيّ خاصة الشّعريّ مازالت مستمرّة من متن إلى تلخيص إلى شرح إلى تهميش ولعلّ جُنوح الدّرس البلاغي إلى التّعليميّة سبب ذلك أي إيراد القاعدة ومثالٌ لإيضاح القاعدة وهكذا. وأحيانا نجد تعسّفا في توظيف الشّاهد ليكون خادما غير مخدوم خادم للقاعدة ولو ببترها عن سياقها الّذي وُلِدَت فيه وغير مخدوم لأنّ الشّاهد إنّما هو حجّة للقول والقاعدة وحجّة على قدرة بيان صاحبها ومَلَكَتِه في الإبداع والقول. وإنّ من جماليّة البلاغة جماليّة التّأويل والتّحليل والتّقديم والتّوضيح والتّأثير والتّذوق وهذه الجماليّة انتقلت للشّاهد البلاغيّ فهو البلاغة ذاتها.

بيان قيمة الشّاهد: "الشّرحُ والتّحليلُ والتّأويلُ": إنَّ الشّاهد البلاغيّ لم يكن جماليّا في التّركيب والتّحسين فحسب بل عبّر أيضا عن جانب وظيفيٍّ في التّعبير عن شؤون النّاس الاجتماعيّة والنّفسيّة والحضاريّة فجميع الشّاهد تَميل إلى الإمتاع والإفادة، ولهذا فإنّ الشّاهد ينطوي على عمليّة اختيار مدروسة ومهيّأة تخضع لطبيعة الدّرس وموضوعه بحيث ينظر إليه وفق دلالات متنوّعة ناتجة عن العلاقات والتّراكيب الّتي تميّزه.

ولذلك فإنّ عمليّة اختيار الشّاهد البلاغي واستبصار جوانب الجمال وإبداع القول فيه لا تكفي الغرض المنشود، بل يتطلّب الأمر تعليلا وتبيّينا لمواضع الجمال وكشفها للنّاظرين بالتّحليل والتّفسير والشّرح فالقضيّة ليست جمعا للشّواهد ولا هي النّظرة العَجِلَة لمواطن الجمال، بل الأمر أبعد من ذلك فلا بد من إعمال الفكر وكذا الذّهن لاكتشاف مواطن الجمال ومحاولة تفسيره "إنّ معرفة الفكرة البلاغيّة وحدها لا تُربّي ذوقا بلاغيّا وإنّما يكون ذلك حين تُدخلها في باب التّحليل، ويعمّ بها ولها بناء الكلام يعني تفكّكه أوّلا ثمّ تَبْنِيه على وجه آخر".

رفـد الشّواهد بأخرى "التّقديم والتّمثيل والتّوضيح":إنّ موطن الجمال يتعسّر فهمه في كثير من الأحيان ولا يكفي التّدليل والإشارة إليه فقط بل يتطلب الأمر أحيانا إشارة تلْوَ الإشارة ومثالا بعد دليل وشاهدا بعد شاهد وليس الأمر تِكرارا بل زيادة تأكيد وتوضيح بالأمثلة يتَّضح المطلوب وتنْجَلي غمامة الغموض، وقد يعمد الدّارس والمحلّل لهذه الشّاهد بالتَّفسير والتّحليل ولكنّه يرى من الضّروري إعطاء أمثلة وشواهد أخرى بعد الشّاهد الحجّة وقد يقوم بشرحها على المنوال نفسه أويترك للقارئ إعادة النّظر فيها كمجال للدّربة وبهذا تَرْسَخ القاعدة وتَسْتَوطِن الفكرة.

عقد المـوازنـات " تنبيه المتلقّي وإيقاظ الهمّة والذّوق ": لقد بدأت البلاغة العربيّة بدايات ذوقيّة كما هو الحال بالنّسبة لحركة النّقد الأدبي وكان الذّوق معيارا نقديًّا ولكنّه أمر معنويٌّ ليس له قياس واضح ولا ضابط محدَّد، فالنّفس تميل للطّرب وجمال التّركيب وقوّة المعنى، وقياس درجات هذه المعايير تختلف باختلاف الطّباع والقدرات الذّهنيّة والفكريّة عند النّقاد وكان هدف كل ناقد ودارس توضيح جماليّات هذا التّركيب عن غيره، وليس أدلّ على ذلك من إعطاء ميزان للقارئ يَزِن بنفسه جمال هذا وقُبْحَ ذاك فكانت الموازنات أحد أهمِّ الوسائل النّقديَّة لتوضيح وكشف مواطن الجمالِ اللّغويّ.

لمحات نقديّـة أثنـاء العرض والتّحليل: يتّبع عرض الشّاهد البيانيَّة واختيارها التّحليلَ والشّرحَ ويتطلَّبُ ذلك أمثلة توضيحيّة وقد يلزم الأمر عقد موازنات بين هذه الشّاهد وشواهد أخرى تأكيدا وتبريرا لما يلزم من الأفكار، وبين الأولى والآخرة تتطاير الحلَلُ النّقديّة واللّمحات الفكريّة العقليّة مشيرةً إلى ما يحسنُ وما يقبحُ من الكلام وبأيِّ شيء حَسُنَ أو قبُحَ وكيف يصير هذا وكيف يُتعدَّ ويترك ذاك، هذه الإشارات النّقديَّة توضّح منهج النّاقد وتشير إلى ملامح النّقد وأُسُسِه في عصر النّاقد بصفة عامّة وبِتَتبُّع هذه الإشارات واللّمحات النّقديَّة نتعرَّف على الحسّ النّقدي عند الدّارسين العرب بصفة عامَّة، وبجمع هذه الوقفات نبني منهج النّقد عندهم.

إعمال الذّوق في التّحليل والاختيار: إنّ الفهم الصّحيح للبلاغة هو تحليل الشّاهد اعتمادا على الذّوق الأصيل لا فَهْمَ الفكرة أو القاعدة بل الإحساس بها ومعايشتها ولم يكن علم البلاغة علمًا نظريًّا بل مقرونا بالذّوق. و "الأصل في فضل الكلام وأصل البلاغة هو غزارة المعاني المدلول عليها بالكلمات المعدودة وأنّ المرجع في كلام النّاس إنّما هو إلى ما هو في القلب والعقل ممَّا تعبِّر اللّغة عنه، ثم قدرة المتكلّم على حسن الدّلالة وتمامها فيما له كانت الدّلالة، وهذا هو الفيض الّذي هو في الصّدور"[38]. وكما أنّ لكلِّ معنًى هيأة وسَمتًا في الجملة والبيت صار بالضّرورة لكلّ شِعْرِ شاعرٍ هيأة وسمتٌ وملامح يتميَّز بها عن غيره ولا يلتبس.

فالعرب عامّة والشّعراء خاصّة تفطن بالفطرة القدّاحة الوقّادة لبناء الشّعر ومعرفة جيّده من غيره، وهذا ممَّا لا بدَّ منه لكل ناقد لأنّه أصل في الاختيار وأصل في التّحليل والتّفسير وأصل في الفهم والاستدراك.

وقد كان درس الجرجانيّ في كتابه الدّلائل الفاتح له عن قراءات عميقة لتراث سلفه، فكانت قراءته للتُّراث إحياءً له، بل كانت متمِّمة للدّرس باعثةً له في ثوبٍ من الجدّة والأناقة بعدما كادت تَدْرس.

ولا يُعزل بحث السَّكَّاكِيّ عن هذا الكلام وليس بمنأى عنه، ولهذا كانت قراءته حيَّة في زمنه، بل تعدَّته إلى عصرنا الحديث، وإن كان كَتَبَ مفتاحه منْ أجْل زمنِه ولأجله. فقد أنار طُرُقًا لطلب علم البلاغة، وسهَّل منابعه وبَسَطَ تدرُّجاته، ورسم خرائط الأخذ منه، ووزَّعَ أبوابه حسب مقتضيات العقل والمنطق، ولكنّه بعد كلِّ هذا لا يقارن ببحث الجرجانيّ، فالجرجانيّ استخرج علما دفينا، وأظهر سرًّا عميقا، واستدرك فوائد ضاعت في طيَّات الزّمان والنِّسيان، والآخرَ رسم طريقا لِلْأخذِ من هذا العلم الدَّفين، وكيفيَّة تناوله وفهمه .

وأوَّل ما يصادف هذا الفهم ويؤيِّدُه أنَّ كتابات الجرجانيّ ظهرت في العصر الزّاهد في الدّرس البلاغيّ، فكان يعرض ذوقه وفهمه بوصفه وسيلة لفهم الإعجاز القرآنيّ، وأمَّا السَّكَّاكِيّ في مفتاحه فلم يحاول أن يجعله كتابا في فنٍّ واحد وهو فنُّ البلاغة، بل جعله عرْضًا لعلوم العربيّة. ولم يعرض للبلاغة إلَّا في قسمه الثّالث.

نستطيع ممَّا تقدم أنْ نسجِّل ملاحظات على تلك الرُّؤية الدَّاخليَّة للدّرس البلاغيّ والنّقديّ عند قطبي البلاغة العربيّة الجرجانيّ والسَّكَّاكِيّ، وذلك من خلال تَلَقِّيهم للشّواهد البلاغيّة وتطوُّر هذا التَّلقي بين الشَّيخين، فهل كان تلقِّي الجرجانيّ لشواهده البلاغيّة قد أثَّر في

تلقِّي السَّكَّاكِيّ لهذه الشّواهد؟ أم أنَّ المنهج المتَّبع غيَّرَ وجهة نظر كلّ واحد منهما؟ فكانت غاية الدّرس لكلِّ واحد منهما هي رأس الأمر في تعامله مع هذه الشّواهد. والشّواهد بمعنى فهم وتقديم ونقد وتخطيط الدّرس البلاغي لأنَّها عمود الأمر. وهذه الملاحظات هي كالتالي:

- ✓ إنَّ التّفسير والتّأويل ناتج ثقافيّ قائم على الْمُمْكِن والمتغيِّر، ولذلك فهو حاصل في الأفهام على مقدار اختلافهما وتفاوتهما، ولهذا فهو مرهون بشروط تاريخيَّة وزمنية، وبظروف ذاتيَّة وإنسانيَّة، بينما الخطاب الأصل-الإبداع- هو إنتاج ثقافيّ، وهذا ما يجعله على الدَّوام متجاوزا لعصره متقدِّمًا عنه.

- ✓ إنَّ النّقاد والبلاغيّين اللّغويِّين عند تناولهم للشّواهد في وظيفتها التّمثيليَّة لم يقتصروا في استشهادهم على جماعة دون جماعة، أو على زمن دون زمن لعلمهم أنَّ للتَّمثيل والتّوضيح فائدة ثانويّة مهمَّة في توضيح القضايا والمعاني.

- ✓ يقوم منهج الجرجانيّ على تأمُّل الأشباه والنَّظائر، والموازنة بين المعاني والصّور، ومراعاة السّياق والملابسات تَوْقًا منه إلى معرفة اللَّطائف، والنَّفاذ إلى دقائق الأمور في تحليلٍ وتناولٍ عميقٍ، فهو يُورد الشّاهد البلاغيَّ في سياق موضوع ما مع حديثٍ تَطْبَعُه الجِدّة من حيث الموضوع والتّناول ولا يكتفي بإظهار الموضوع ولكنّه يقدِّم رأيا وينتقد الآخر تصريحا أو تعريضًا.

- ✓ يقوم منهج السَّكَّاكِيّ على إيراد القاعدة البلاغيّة يليها الشّاهد البلاغيّ وغالبا ما يكون نصًّا قرآنيًّا، ولم يأبه للموازنة ولا لمراعاة السّياق، هادفا من هذا إلى تقديمِ الدَّليل على ما بيَّنه وأوضحه من القاعدة، وجلُّ حديثه تطبعه الصِّبْغَة المنطقيَّة والتَّناول الفلسفيّ، وهذا ما يلائم منهجه.

- ✓ لم يكتب الجرجانيّ في الفنون البلاغيّة إنّما كان هَمُّه استخدام هذه الفنون لتوضيح وسيلة فهم البيان، وكلُّ الأنواع البلاغيّة المذكورة عنده إنّما هي تبيان لوسيلة فهم البيان القرآني.

- ✓ كان الجرجانيّ عند تقريره للمطلوب يعتمد على السّياق الخاص الّذي ورد فيه الشّاهد، كما يعتمد السّياق العام الّذي يرد فيه مثل هذا المعنى، ولهذا كان يربط البيت الشّاهد بما قبله وبما بعده ويتأمَّله ضمن المقطوعة لإدراك العلاقة بين معاني الأبيات، ويزيد

على ذلك كلِّه إيراد الأمثلة من الأبيات الأخرى للشّواهد السَّابقة ليؤكد ما أراد، ويقوِّي الملاحظة ويُبَيِّنَ الخفيَّ، ويقدِّم بابًا للتَّطبيق، والأمر نفسه مع الآيِ الكريمة.

✓ إنَّ اختيار الجرجانيّ لشواهد بحثه وترتيبها كان من أجل مناقشة مناظريه في مسألة الإعجاز والبلاغة والفصاحة، ولهذا فقد انطلق من أساس أنَّ تحقيق تأثير النّصّ وبلوغه قمّة جماليّته وإبداعيّته يكمن في مراعاة عناصر العمليَّة التّواصليَّة، وهي المبدعُ ونصُّه وقارئُه، ولهذا كان التّأويل أهمَّ وسيلة للوصول إلى مبتغاه وفهم كُنْهِ هذه الأسرار.

✓ انتقلت أغلب الشّواهد عند الجرجانيّ انتقالا بلاغيًّا ونقديًّا في الوقت نفسه، وأحيانا كثيرة يغلب النَّمط النّقديّ عليها، أمَّا السَّكَّاكِيّ فانتقلت شواهده في أغلبها انتقالا بلاغيًّا لأنَّ مفتاح العلوم يتميَّز بصبغة البلاغيّة، ولهذا فإنَّ الآكَد عند العلماء هو عدم فصْلِ البلاغة عن النّقد، وحتّى أحكام الجرجانيّ النّقديَّة ذات طابع بلاغيّ.

✓ اختيار الجرجانيّ للشّواهد ناتجٌ عن المعرفة وإحكامٍ للعقل والذّوق، وربطٍ للشّاهد بالسّياق، بينما اختيار السَّكَّاكِيّ كان منطقيًّا تحكمه القاعدة، وقد قلّد السَّكَّاكِيّ الجرجانيّ في أغلب الشّواهد وإنّما زاد في الاستدلال بالآيِ الكريمة لأنَّه يربط البلاغة بالقاعدة التّعليميّة.

✓ تَتَّسمُ الشّواهد البلاغيّة عند السَّكَّاكِيّ بالجزئيّة، فهو يغيِّب النّصيَّة، لأنَّ هَمّهُ التَّوصّل إلى القوانين البلاغيّة الكليَّة وحصرها.

قائمة المصادر والمراجع :

- **ابن الأنباري**: الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، ط 1961/4، مصر.
- **ابن رشيق القيرواني**: العمدة، تحقيق: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، ط2، 1952، مصر.
- **ابن عبد ربّه الأندلسي**: العقد الفريد، تحقيق: محمّد مفيد قمّيحة، دار الكتب العلميّة، 1983، بيروت، لبنان.
- **ابن فارس أحمد**، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر للطّباعة، 1979.

- **ابن منظور**، لسان العرب: تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، مصر.
- **أحمد سامي سليمان**: خطاب التّجديد النّقدي عند أحمد ضيف، مكتبة الآداب ، دط، 2003، مصر.
- **الألّوسي**: شكري: إتحاف الأمجاد فيما يصحّ به الاستشهاد، تحقيق: عدنان الدّوري، مطبعة الإرشاد، 1982، بغداد.
- **بريكان بن سعد السّلوي**: المعايير النّقديّة في ردِّ شواهد الشّعر النّحويَّة، رسالة دكتوراه جامعة أمُّ القرى 2001، المملكة العربية السعودية.
- **الحربي عايد سليم**: الشّواهد الشّعرية في كتاب أسرار البلاغة - توثيق وتحليل بلاغي-، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة كليّة اللّغة العربيّة، 1415هـ، السعودية.
- **ديوان حسَّان ين ثابت**، شرحه:عمر فاروق الطَّباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، دط، 1993، بيروت، لبنان.
- **ديوان طرفة ابن العبد**، دار صادر، دط، 1961، بيروت، لبنان.
- **السّيوطي** جلال الدّين: الأشباه والنّظائر، دار الكتب العلميّة، ط1، 1983بيروت، لبنان.
- **الشّريف الجرجانيّ**، أبو الحسن: التّعريفات، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، ط2، 2003،
- **شوقي ضيف**: البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف ، ط 4، 1999، القاهرة.
- **الطّاهر بن عاشور**: التحّرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، دط، 1984، تونس.
- **الطّاهر بن عاشور**: موجز البلاغة، المطبعة التّونسية، ط1، دت، تونس.
- **الطّنطاوي محمّد**:نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، الجامعة الأزهريّة، مطبعة الوادي، ط 1954/4، القاهرة.
- **عبد الرَّحيم ابن علي بن مشيث القرشي**: معالم الكتابة ومغانم الإصابة، دار الكتب العلميّة، 1988 ، لبنان.
- **عبد المطّلب محمّد**: البلاغة العربيّة قراءة ثانيّة، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، 1997، بيروت، لبنان.

- **فتحي عبد الفتّاح**: ظاهرة الشّذوذ النّحوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط 1، 1974.
- **فضل حسن عبّاس**: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البديع، دار الفرقان، ط 1، 2004، عمان.
- **القاسميّ علي**: معجم الاستشهادات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1 ، 2001، بيروت، لينان.
- **مجمع اللّغة العربيّة:** المعجم الوسيط: إشراف: شعبان عبد العاطي عطيّة،مكتبة الشّروق الدّولية،ط4، 2004.
- **محمّد عيد**: الرّواية والاستشهاد باللّغة، عالم الكتب، 1972، مصر.
- **المسعوديّ**: علي بن الحسين بن علي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، ط3، 1958، مصر.
- **مصطفى الجوزو:** الشّاهد الشّعري في البلاغة العربيّة، عالم الفكر، ع46، السّنة الثامنة، 1987.

التهميش:

[1] ابن منظور، لسان العرب: تح:عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، مصر، مادّة شهد.

[2] ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام هارون، دار الفكر للطّباعة، 1979، باب الشّين والهاء وما يثلّثهما.

[3] مجمع اللّغة العربيّة: المعجم الوسيط: إشراف: شعبان عبد العاطي عطيّة ، مكتبة الشّروق الدّولية،، ط4 ، 2004، ص 497.

[4] القاسميّ علي: معجم الاستشهادات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1 ، 2001، بيروت، لبنان، ص 19.

[5] الشّريف الجرجانيّ، أبو الحسن: التّعريفات، تح: محمّد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، ط2، 2003، بيروت.ص 139.

[6] المسعوديّ: علي بن الحسين بن علي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، ط3، 1958، مصر، ج3 ص136.

[7]بريكان بن سعد السّلوي: المعايير النّقديّة في ردّ شواهد الشّعر النّحويَّة، رسالة دكتوراء جامعة أمُّ القرى 2001، ج1، ص 13.

[8] الحربي عايد سليم: الشّواهد الشّعرية في كتاب أسرار البلاغة - توثيق وتحليل بلاغي-، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة كليّة اللّغة العربيّة، 1415هـ المقدّمة.

[9] الألّوسي: محمود شكري: إتحاف الأمجاد فيما يصحّ به الاستشهاد، تح: عدنان عبد الرّحمن الدّوري، مطبعة الإرشاد، بغداد 1982، ص64 وما بعدها.

[10] ابن رشيق القيرواني:العمدة في محاسن الشّعر وآدابه،تح: محمّد علي النّجار، دار الكتب المصريّة، ط2،1952،مصر، 24/1.

[11] في أصول النّحو، ص 6.

[12] ابن عبد ربّه الأندلسي: العقد الفريد، تح: محمّد مفيد قمّيحة، دار الكتب العلميّة، 1983، بيروت، لبنان، ج1، ص 3.

[13] ديوان طرفة ابن العبد، دار صادر، دط، 1961، بيروت، لبنان.ص 70.

[14] ديوان حسَّان ين ثابت، شرحه:عمر فاروق الطَّباع، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، دط، 1993، بيروت، لبنان، ص90.

[15] ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، ط 1961/4، مصر، مج 1، ص 300.

[16] فتحي عبد الفتّاح: ظاهرة الشّذوذ النّحوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط 1، 1974، ص 134

[17] الطّنطاوي محمّد:نشأة النّحو وتاريخ أشهرالنّحاة، الجامعة الأزهريّة، كليّة اللّغة، مطبعة الوادي، ط 1954/4، القاهرة، ص 182.

[18] محمّد عيد: الرّواية والاستشهاد باللّغة، عالم الكتب، 1972، مصر، ص 113.

[19] نفسه، ص 91.

[20] البيان والتّبيّين: 28/3.

[21] العمد: 60/2.

[22] الطّاهر بن عاشور: موجز البلاغة، المطبعة التّونسية، ط1، دت، تونس، المقدّمة.

[23] السّيوطي جلال الدّين: الأشباه والنَّظائر، دار الكتب العلميّة، ط1، 1983بيروت، لبنان. 1، المقدّمة 2.

[24] الطّاهر بن عاشور: التحّرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، دط، 1984، تونس، مج 1، ج 1، ص 93.

[25] العمدة، ص 93.

[26] مصطفى الجوزو: الشّاهد الشّعري في البلاغة العربيّة، عالم الفكر، ع46، السّنة الثامنة، 1987.

[27] أحمد سامي سليمان: خطاب التّجديد النّقدي عند أحمد ضيف، مكتبة الآداب ، دط، 2003 ، القاهرة، مصر. ص 250.

[28] فضل حسن عبّاس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البديع، دار الفرقان، ط 1، 2004، عمان، ص 13.

[29] شوقي ضيف: البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف ، ط 4، 1999، القاهرة، ص 164.

[30] عبد المطّلب محمّد: البلاغة العربيّة قراءة ثانيّة، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، 1997، بيروت، لبنان. ص26

[31] إعجاز القرآن الباقلاني. ص113.

[32] نفسه، ص 120،121،122

[33] نفسه، 123

[34] نفسه، ص 124

[35] نفسه، ص 125

[36] نفسه، ص 120

[37] عبد الرَّحيم ابن علي بن مشيث القرشي: معالم الكتابة ومغانم الإصابة، دار الكتب العلميّة، 1988، بيروت، لبنان،ص 138.

وراجع: صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندى، دار الكتب المصريّة، دط، 1922، القاهرة، مصر،مج1، الفصل الثَّاني، ج1، ص295 على الخصوص وانظر: 183-356.

[38] الدّلائل، ص 115.